ملحق المحرر عن

فلسطين

ملحق المحرر رقم (٤٢٨)
٣ كانون الاول ١٩٦٤
فلسطين : العدد ٣

جيش العدو

احصاءات ومعلومات

فلسطين والبترول

الله الطريقي

عكا : صور ومعلومات وخرائط
(ص ٩)

أدب المقاومة في فلسين
(ص ١٠ — ١١)

برهان الدجاني :
موقف عبد الناصر من القضية الفلسطينية

مدينة الالام ، كما اصطلح على تسميتها ، وبيت لحم ، كما عرفت دائما بصفائها وقداستها وتاريخها السحيق الذي شهد المسيح ، وظل شاهدا على جريمة صلبه الى حد الصق بالمدينة اسم مدينة الالام.
وهي مدينة من اللحم والدم ، كما يقول اسمها ، عمرها الفا سنة ليس بالوسع محوها او تحويرها .

كي لا ننسى

مع ان تمسك العرب بقرار اللجنه السياسية لجامعة الدول العربية برفض قرار التقسيم كان له تاثير كبير في دفع القضية الفلسطينية الى اروقة الامم المتحدة الا انه لم يساهم بالخروج بخطوات عملية لمصلحة العرب .

فقد سارت الوفود العربية في باريس على الخطة التي ابلغت اليهم من حكوماتهم واخذوا يبذلون جهودهم في معارضة واحباط المساعي الانكليزية ، ثم نشروا بيانا مسهبا عن القضية وتطوراتها وعواقب ما كان من قرار التقسيم . واصروا على ان الدولة الموحدة هي الحل العادل الذي لن يقبل العرب عنه بديلا .

وفي اثناء انعقاد دورة هيئة الامم للخريفية كانت الولايات المتحدة تستعد لاجراء انتخابات الرئاسة ، فراى مندوبو العرب تعويق بحث قضية فلسطين الى ان تظهر نتائج الانتخابات املا بتغير في الموقف الاميركي ، وشجعهم الوفد الاميركي على هذا الموقف فتاجل البحث الى ان اعلن فوز ترومان الذي ايد موقف الصهيونية

وانتقل بحث القضية الى اللجنة السياسية ، فايد المندوب البريطاني اقتراحات برنادوت وحمل مندوبو العرب عليها ، وتكلم كثير من المندوبين داعين الى الاستمرار في بذل الجهود في سبيل تسوية سلمية . وايد المندوب الاميركي مشروع برنادوت ، الا انه طالب بابقاء النقب مع اليهود . اما شرتوك المندوب الصهيوني فقد اعلن رفضه لاقتراحات برنادوت ورفض فكرة تخلي الصهاينة عن النقب ، والبحر الميت ، وميناء حيفا ، ومطار اللد ، والجليل . وقال ان اليهود سيقاومون كل محاولة لاسترجاعها ، وسيحتفظون بالمناطق المذكورة بالقوة .

وقدم فارس الخوري اقتراحا بتاليف لجنة من خمسة اعضاء مهمتها درس الطرق المؤدية الى انشاء دولة موحدة في فلسطين على اساس نظام اتحاد او نظام الكنتونات مع منح المقاطعات امتيازات محلية واسعة . وقدم المندوب الانكليزي اقتراحا بمبادلة الجليل الغربي بالنقب ، مما يجعل القسمين العربي واليهودي منفصلين عن بعضهما ومما يحول دون الاحتكاك والمناوشات . واقترح كذلك اناطة مصير القسم العربي وشكل الحكم فيه لاهل فلسطين العرب واعادة اللاجئين الى ديارهم ودفع التعويض لمن لا يريد العودة ، وايجاد نظام دولي لمنطقة القدس وتاليف لجنة توفيق مهمتها تعيين الحدود الجديدة والاشراف على تنفيذ الاقتراح ، وقال ان العرب لن يتفقوا وان واجب هيئة الامم ان تفرض الحل بالقوة . ثم عرضت الاقتراحات للتصويت فسقط اقتراح فارس الخوري لتساوي الاصوات ، كذلك سقط اقتراح عربي بعرض القضية على محكمة العدل الدولية .

ثم انتقل البحث الى الهيئة العامة فوافقت على قرار اللجنة السياسية في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ واقرت ما يلي :

« ان الجمعية العامة بعد ان اتخذت في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ قرار التقسيم وفي ١٤ آذار ١٩٤٨ قرار يخول الوسيط الدولي بذل مساعيه في تنمية العلاقات الودية بين العرب واليهود وبعد ان اطلعت على تقرير الوسيط الذي تضمن اقتراحاته تقرر ما ياتي :

١ — تؤلف لجنة توفيق من ثلاثة اعضاء يختارهم الاعضاء الخمسة الدائمون تقوم بالاعمال التي كانت انيطت بالوسيط او باي اعمال اخرى قد يطلب القيام بها اليها مجلس الامن او هيئة الامم المتحدة ، وتنمي الصلات الحسنة بين دولة اسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية ، وتتخذ الخطوات اللازمة لمساعدة الحكومات والسلطات المختصة لانهاء جميع الخلافات القائمة بينها ، وتتخذ التدابير اللازمة لوضع جميع الاماكن المقدسة والمباني الدينية تحت حماية واشراف منظمة الامم المتحدة على ان تخضع منطقة القدس لنظام دولي دائم .

٢ — تحدد منطقة القدس بموجب التعريف الوارد في قرار التقسيم وتعامل معاملة خاصة وتوضع تحت اشراف منظمة الامم .

٣ — يسمح لمن يرغب من اللاجئين بالعودة الى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم اما الذين لا يرغبون فتدفع لهم تعويضات بمقتضى القوانين الدولية ويدفع كذلك تعويض لمن اصابهم اضرار في ممتلكاتهم وعلى لجنة التوفيق تسهيل امر اعادة السكان واستقرار اللاجئين . »

يوميات

صغير بين مجموعة كبرى من اهل فلسطين يعيشون في جو يفترض انه جو النكبة ، يسمعون تفاصيلها ليكونوا الطاقات الكامنة لليوم الحاسم. تقدمت من احدهم متسائلة : من اي بلد انت يا صغيري ؟

واصابته الحيرة بضع ثوان التفت خلالها يمنة ويسرة يطلب عونا من رفاقه واخيرا تشجع وقال فرحا وكانه وجد مفتاح بلدته المفقود : « انا من مخيم شاتيلا .. » .

— ولكن ما اسم بلدتك ؟

ولم يتردد الصغير هذه المرة بل اضاف : بيروت .

ولكزه الطفل الذي يجاوره قائلا : « لا انها برج البراجنة »

وابتسمت برثاء ، للصغار وللقضية ، القضية التي نحملها طائرين الى انحاء المعمور الاربع ليطلع عليها الراي العام العالمي ، نقسره على السماع فيناقش ساخرا او يستمع متادبا لينسى ما سمعه في اللحظة التي نتركه فيها. ونترك عتاد المستقبل جاهلا حتى انه لا يعرف اسم بلدته او في اي لواء تقع . فكم بالحري مشاكلها وقضاياها . وطرق استعادتها . على الاقل يجب ان نثير فيه الحمية والشوق والحنين وبالتالي المشاركة في عملية استعادتها . نصرف عشرات الالوف على المؤتمرات العالمية نسائية كانت ام رجالية؟ ونضن بدريهمات ننفقها على تعليم عدة من تعقد هذه المؤتمرات من اجلهم ، اليس الوطن شعب وارض ؟؟ ..

وما رايته في هذه المؤسسة التي تشرف عليها هيئة فلسطينية يدها هي العليا ينطبق على معظم مدارس وكالة الاغاثة ، فذكر فلسطين امر محرم ، وعلم فلسطين يجهله الجميع وابطال فلسطين في عالم النسيان . واذا ناقشت الهيئات التعليمية اعترف كل منهم بالنقص ولكنهم يخشون قطع لقمة العيش عنهم. فوكالة الاغاثة مارد جبار لا يجرؤ احد ان يقول امامها « الله اكبر » ولذا فهي تطغى وتتجبر .

صبا الفاهوم

البريد

اصدقاء « فلسطين » ازدادعددهم ورسائل القراء التي تعبر عن اعجابهم « بفلسطين » وعن مشاكلهم الحياتية لا تنقطع . وامام حشد الرسائل نضطر للرد باختصار على البعض ، ولتاجيل بعض الرسائل لاعداد قادمة .

● **ما زالت رسائل التهنئة تنهال على « فلسطين » وبلغ العدد الذي تلقته المجلة منها حدا يستحيل معه نشرها جميعا : تكرر فلسطين شكرها للجميع آملة ان تكون في مستوى ظنهم بها .**

★ ★ ★

● علي سادر — قطر : يسال عن معنى الشعار الذي تسجله فلسطين في كل عدد على رؤوس الصفحات ويقول انه يعتقد بانها خريطة فلسطين بينما قال صديق له انها صورة بندقية ..

ونحن نقول للصديق علي انها كليهما معا : فهي خارطة فلسطين بتصرف بسيط يجعل منها بندقية في آن واحد . ومعنى ذلك مفهوم .

● الاخ يوسف احمد حجاج — مخيم القاسمية — وردتنا منه رسالة يقول فيها : « انا طالب في التكميلي الرابع اصابني صداع شديد مزمن وكنت اذهب الى عيادات الوكالة في مخيم القاسمية فلا اخرج بنتيجة . واخيرا استطعت ان انال موافقة الطبيب المختص لتحويلي الى عيادة الوكالة في بيروت ، وذهبت الى الدكتور المختص الذي قال انني بحاجة الى دواء ونظارات طبية لن تستطيع الوكالة تامينها لي لانني اصبحت في الصف التكميلي الرابع وخارج نطاق الخدمات التي تؤديها . وطبعا لم استطع تامين العلاج اللازم بما فيه النظارات مما ادى لتوقفي عن القراءة ورسوبي في الامتحانات » .

● ت. ا — بيروت ، كتب لفلسطين عدة قصائد ننشر من احداها المقطع التالي :

ان لم نوحد صفوفنا في كتلة لا تستكين
ان لم نحطم خصمنا والمارقين الخائنين
ان لم نسخر علمنا للبذل والنصر المبين
حتما سيبقى راتعا ببلادنا خصم لعين
حتما سنهزم مرة أخرى بحرب الغاصبين
حتما سنفقد حقنا وديارنا يا نازحين

★ ★ ★

● ابراهيم الارناؤوط — بيروت ، وردتنا منه رسالة يثني فيها على فكرة « فلسطين » ويهدينا قصيدة طويلة نقتطف منها ما يلي :

قسما قسما يا اخوتي
قسما قسما لن اتراجع
لقد اقسمت وما اعز القسم
أقسمت بفلسطين بترابها
أن أعود ومعي اخوتي
ننادي اليك يا فلسطين عائدينا

● عمر احمد برهوش — بائع صحف وردتنا منه رسالة يبين لنا فيها الوضع المزري الذي يعيشه مع آخوان له في المخيمات وكيف يحاول ان يقطع الرغيف عن نفسه ليؤمن الطعام لافواه اخوته الجائعة . ويقول بان حياته هذه تضع امامه مزيدا من التحدي والاصرار للعمل من اجل العودة .

ويختتم رسالته قائلا ان «فلسطين» مجلة تكتب على مستوى النكبة وكان غلاف العدد الاول يحمل صورة مدينة « حيفا » ذلك المنظر الذي لا شبيه لروعته وها هو العدد الثاني يحمل اصرارا من نوع لم يعهده الفلسطينيون مسطرا على صفحات جريدة او مجلة ».

★ ★ ★

● سليمان الشيخ محمود — وردتنا منه قصيدة نقتطف منها ما يلي :

من لظى النار
صنعت ثيابي
ومن عرق الحياة
اقمت بابي .
ومن لسع السياط
بنيت شبابي .
والزمهرير والنكبات
صنعتني وصحابي

فلسطين
ملحق نصف شهري يصدر عن
المحرر
صاحبها ومديرها المسؤول
هشام ابو ظهر
رئيس التحرير
غسان كنفاني
الادارة والتحرير
بناية العازارية
الطابق السادس A-3
تلفون ٢٥٣٧٠٠
٢٣٥٩٥٢
٢٥٨٢٦١
ص. ب ٥٣٦٦
الاعلانات والاشتراكات كافة يتفق بشأنها مع الادارة

دراسات

قضية فلسطين اليوم (٢)

موقف عبد الناصر من قضية فلسطين

ما دمنا قد قررنا ان الحساب الواقعي يظهر بان تحريك قضية فلسطين ، في الجانب العربي ، بيد الجمهورية العربية المتحدة ، وحدها ، وعلى وجه الدقة ، بيد الرئيس جمال عبد الناصر ، فلا بد اذن من ان نضع السؤال التالي : وما هو موقف الرئيس جمال عبد الناصر من قضية فلسطين ، وكيف يختلف عن المواقف السابقة للمسؤولين العرب تجاه هذه القضية ؟

ان النقاطة التالية ، المبنية على اقوال ومواقف محددة للرئيس جمال عبد الناصر ، تلخص لنا موقفه من هذه القضية :

١ — ان الرئيس عبد الناصر يحس قضية فلسطين احساسا كاملا ، وان زاوية نظرته النهائية اليها هي زاوية نظر الوطني العربي لا زاوية المسؤول الرسمي . وليس في كل ما قاله الرئيس عبد الناصر عن فلسطين شيء اوقع في النفس من الجملة المؤثرة التي اختتم بها كتابه للرئيس الاميركي كينيدي بشان قضيتها ، اذ قال :

« واؤكد لك ، بشرف ، ان ما يحكم موقفي ونظرتي الى قضية فلسطين ليس هو كوني رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ، وانما الاصل والاساس هنا هو موقفي ونظرتي ، كوطني عربي ، كواحد من ملايين الوطنيين العرب » .

بهذه العبارة الموجزة احال عبد الناصر الرئيس الاميركي كينيدي لمعرفة حقيقة الموقف من قضية فلسطين ، الى الضمير الشعبي العربي الذي له في القضية قول واضح حاسم . وتوضح هذه العبارة ايضا كامل مدى الاحتمالات التي يمكن لعبد الناصر ان يذهب اليها « كوطني عربي » في سبيل هذه القضية.

بهذا الاحساس الوطني لخص عبد الناصر مثلا بايجاز كلي جوهر قضية فلسطين في نفس رسالته لكينيدي بقوله:

« لقد اعطى من لا يملك ، وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان ، من لا يملك ، ومن لا يستحق ، بالقوة والخديعة ان يسلبا صاحب الحق الشرعي حقه ، فيما يملكه وفيما يستحقه » .

(الرسالة منشورة في الاهرام بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٦٢) .

بهذا الاحساس ايضا اوجز موقف الدول الغربية من قضية فلسطين بقوله ، في خطابه الشهير بتاميم قناة السويس (منشور بالاهرام بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٦) :

« وحين نقول ، واهل فلسطين يقولون هذا موضوع سنتكلم فيه فيما بعد .. حقوق شعب فلسطين ، يقولون ندفع لهم بعض المال .. ليس كل واحد يستطيع بيع وطنه بالمال ، وطن الواحد منا لا يقدر بثمن ولا يقدر بمال » .

بهذه البساطة اوضح الوهم الغربي القائل بان المال والوقت كفيلان بتثبيت اسرائيل ، وترسيخ عدوانها ، وبين استحالة ذلك من الجانب العربي .

٢ — ببساطة الوطني العربي ، عرف عبد الناصر ازدواجية الحكام العرب من الطراز القديم تجاه القضية ، وترفع عنها ، بل وفضحها .

كان لهذه الازدواجية مظهران .. المظهر الاول القاء التصريحات الرنانة والنارية للاستهلاك المحلي ، مع التاكيد الفوري ، خفية للدول المعنية بمصير اسرائيل بان هذه التصريحات لا تعني شيئا على الاطلاق ، وانها لا تتضمن موقفا تجاه قضية فلسطين ، وانه بالتالي ، يجب ان لا يوضع لها اي وزن .

بالنسبة لمواجهة الشعب بحقائق القضية ذاتها فان المرة الوحيدة التي توجه فيها عبد الناصر بكلامه الى شعب فلسطين توجها كليا مباشرا كانت في خطابه لوفد المجلس التشريعي لغزة الذي زاره يوم ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٢ (المنشور بعدد ٢٧ يونيو ١٩٦٢ من جريدة الاهرام) . فلقد خاطب عرب فلسطين في ذلك الخطاب بقوله :

« من يقول لكم ان قضيتكم سهلة فانما يخدعكم ، فقضية فلسطين اصعب القضايا في العالم ، لانها ليست اسرائيل وحدها ، وانما اسرائيل ومن وراء اسرائيل ، ولكن الله اكبر ممن وراء اسرائيل ، ونحن مؤمنون ، وبهذا الايمان نستطيع ان نحقق هدفنا » .

واوضح في هذا الخطاب بالذات ان ليس لديه خطة — اي برنامج محدد الخطوات والتوقيت — لانقاذ فلسطين، وان اهم ما يشغل باله في هذه المرحلة الاستعداد ، اي خلق امكان تناول القضية . قال :

« الذي يريد الحرب لا بد ان يستعد لها » .

ولكن استعداده ليس استعدادا سلبيا ، بل هو استعداد متحفز ومرن.

« بالنسبة لهذه القضايا يجب ان نعرف متى نقف ، ومتى نهاجم ، ومتى ننسحب ، ولكن في كل هذه الحالات ينبغي ان نستعد باستمرار ، ونقوي انفسنا ماديا ومعنويا ، وان شاء ربنا يوفق العرب » .

غير انه لم يجد غضاضة في ان يقول في نفس ذلك الخطاب ، بالنسبة للوضع الذي كان قائما حينذاك ، اي في يونيو ١٩٦٢ .. « ونحن لسنا على استعداد » . كان هذا كما لا بد ان يذكر القارىء في اعقاب الانفصال السوري .

وقد اعاد نفس معنى الترفع عن الازدواجية بخطابه بعيد النصر يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٣ (منشور بعدد اليوم التالي من الاهرام) ، حيث قال :

« انا اقترح اجتماع للملوك والرؤساء العرب في اقرب وقت ممكن . نقعد نتكلم فيه ، كلام جد ، وبعدين مش عيب ، بنطلع نقول والله احنا النهار ده منقدرش ابدا نستخدم القوة ... او بنقول والله احنا قادرين اذا حولوا النهر حانمنع هذا التحويل بالقوة .. ولكن مش حانقول كلام جوه في الاودة ونطلع نقول لكم كلام تاني . انا عن نفسي الكلام اللي حايتقال في الاودة حاطلع اقوله كله بره » .

وليس الاستعداد ، فيما يقوله عبد الناصر ، صيغة تهرب من مواجهة القضية ، بل صيغة تحفز . وله بالتالي مضمون محدد ، واجل محدد .

بالنسبة لمضمونه لقد حدده عبد الناصر في خطاب له لمؤتمر الطلبة الثاني عشر المنعقد في الولايات المتحدة في رسالة بتاريخ ٢٧ — ٨ — ١٩٦٣ (منشورة بالاهرام بتاريخ ٢٨ — ٨ — ١٩٦٣) على النحو التالي :

« ان الشعب في مصر ، كما تعرفون جميعا واجه مسؤولية فكرية وعملية وعانى النضال الوطني والقومي معاناة كلية وشاملة حتى استطاع في النهاية ان يستخلص من قلب المعركة دليل عمل واضح تبدو معه معالم التغيير الاجتماعي الكبير سلسلة واحدة متصلة الحلقات تبدو عارفة من اين تقصد ، وتقصد عارفة الى اين تقصد ، وتعبىء قوى شعبية وامكانيات وطاقات بغير حدود : (١) ذلك هو نفس الطريق الى فلسطين ، (٢) الطريق الى فلسطين لا يفتحه السلاح وحده . ان الجيوش الوطنية ، اذا لم تكن في قوتها تعكس واقعا اجتماعيا صلبا وقويا ، تصبح على احسن الاحوال قشرة من حديد يسهل كسرها . وانما تصبح للجيوش الوطنية فاعلية حقيقية اذا كانت قوتها اعمق من قشرة الحديد ، اذا كانت قوة دروعها مستمدة من قوة الواقع الاجتماعي ومقدرته » .

ولن نتناول في هذه المعالجة المضمون الشامل الذي يشكل اساس الاستعداد فذلك بحث في كامل منجزات الجمهورية العربية المتحدة بشتى مجالات الحياة . اننا نبدأ بالاقرار بوجود النضال الشامل واهميته الحاسمة ، ونتناول الان مظهره العسكري فقط .

فبالنسبة لمضمونه العسكري بالذات فقد حدده بما ياتي : « يجب ان يكون لنا التفوق دائما في الجو وفي البحر ». ولقد اوجد هذا التفوق ، وطوره ، لا من خلال الاسلحة العادية ، بل ومن خلال الاسلحة الثورية « الصواريخ » وصناعة الاسلحة .

كذلك فانه متيقظ لاحتمالات حصول اسرائيل على الاسلحة التدميرية «القنبلة الذرية والاسلحة الجرثومية» . وبالنسبة للقنبلة الذرية ، فلقد اوضح عبد الناصر انه اذا حصلت اسرائيل عليها فلا بد من ان تحصل الجمهورية العربية المتحدة عليها باي ثمن ، والمح الى ان الحياد نفسه قد لا يكون ثمنا كبيرا للحصول عليها ، لان القضية حينئذ تصبح قضية حياة او موت ، لا قضية انحياز او عدم انحياز .

وان من الواضح ان الجمهورية العربية المتحدة هي الدولة العربية الوحيدة التي تبني سياستها التسليحية على قياسات ومؤشرات دقيقة ، تحدد لها دائما وابدا ما تحتاجه من تسلح ، وانها تعطي الاولوية الحاسمة في سياستها ، وميزانياتها ، وما لديها من النقد الاجنبي ، لجميع الاحتياجات المستخلصة من هذه المؤشرات . الجمهورية العربية المتحدة تراقب بدقة تامة ، وعن كثب ، تسلح اسرائيل ، وتعمل دائما على الاحتفاظ بالتفوق في الجو والبحر (التفوق البري تحصيل حاصل) ، ولا تغفل لحظة واحدة عن استبقاء هذا التفوق . ومن يراقب سياسة الجمهورية العربية المتحدة مراقبة دقيقة ، يرى هذه الحقيقة بوضوح اكيد . ان عبد الناصر مصمم على ان لا يواجه الجيش المصري الوضع الاليم الذي واجهه في حرب فلسطين ، او يوم الاعتداء الاسرائيلي على مدينة غزة عام ١٩٥٤ .

وقد تطور مفهوم الاستعداد وواقعه في الجمهورية العربية المتحدة ، ففي الفترة الحرجة التي سبقت تطور التسليح والتدريب في القوات المصرية ، كانت سياسة الجمهورية العربية المتحدة تحاول ان تؤمن التفوق العربي بواسطة مجموع القوات العربية المحيطة باسرائيل . ومن هنا كانت اتفاقيات الدفاع الثنائي والقيادة المشتركة — عام ١٩٥٦ — والموافقة على استعجال الوحدة مع سوريا ، رغم اعتقاد عبد الناصر بعدم نضوج الاستعداد لها عام ١٩٥٨ . غير ان النكسات المؤقتة التي حلت بهذه المحاولات عامي ١٩٥٧ (سقوط وزارة النابلسي بالاردن) ١٩٦١ (الانفصال السوري) ، دفعت عبد الناصر الى تبني هدف اخر هو هدف جعل مصر وحدها متفوقة دائما على اسرائيل من الناحية العسكرية . وقد اعلن هذه السياسة بخطابه بعيد النصر ببورسعيد في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦١ ، وما زالت ظلال الانفصال السوري مخيمة . وباتمام هذه المرحلة الاخيرة ، يكون التفوق العربي الواقعي قد اكتمل ، لان هذا التفوق لا يكون بعدها معتمدا على ظروف قد توجد او لا توجد ، ومهددا بتخريب .

قلنا ان الاستعداد الذي ينتهجه عبد الناصر ليس استعدادا سلبيا ، بل متحفزا ، وحركيا ، ودائبا ، ومتمشيا وفق مؤشرات واضحة تعمل باستمرار ، وله الاولوية الحاسمة في السياسة المصرية . وقلنا ايضا بان من خصائص هذا الاستعداد ان له اجلا محددا لتحقيق التفوق على اسرائيل ، وليس مجرد صيغة عامة لتحقيق هذا التفوق ، يمكن التهرب منها دائما بان الوقت لم يكن كافيا لتحقيقها . فقد ذكر عبد الناصر ، في اجتماع لمجلس الوزراء اثناء الوحدة في اواخر عام ١٩٥٩ ، في معرض مناقشة السيد اكرم الحوراني بشان مطالبته بحرب محدودة مع اسرائيل لمنعها من تحويل مجرى نهر الاردن ما ياتي :

« انني اعتبر ان عام ١٩٦٣ او ١٩٦٤ سيكون هو العام الحاسم ... في ذلك الوقت سيكون استعدادنا العسكري قد اكتمل ، وستكون قواتنا على اهبة الاستعداد . في ذلك الوقت سوف نكون تمكنا من صنع ما يلزمنا من القاذفات النفاثة بانفسنا ، وسنكون قد توصلنا الى صنع الصواريخ »

(نشر بالاهرام بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٦٢) .

ويبدو من مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل عن موازين القوى مع اسرائيل (بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٤) ان هذا الهدف قد تحقق الان ، ونحن في نهاية عام ١٩٦٤ ، وانه قد اصبح للجمهورية العربية المتحدة وحدها تفوق عسكري ملحوظ على اسرائيل ، عددا ، وسلاحا ، ونوعا .

هذا فيما خص اسلوب عبد الناصر في الترفع عن الازدواجية في مخاطبة الشعب العربي . لكن هذا الترفع ينطبق على مواجهة الدول الاجنبية بالقضية ، مواجهة مخلصة جريئة ، ليس فيها نفاق او تهرب . من امثلة هذه المواجهة ، ما جاء في رسالة عبد الناصر الى الرئيس الاميركي كينيدي ، ولنلاحظ ان عبد الناصر اشار الى هذه النقطة بالذات في موضعين متباعدين من الرسالة مما يدل على اهمية المعنى الذي تنطوي عليه في نظره . قال في الموضع الاول :

« ولكي اكون منصفا ، فانه يبدو لي ان بعض العناصر العربية قد ساهمت في تصوير المشكلة — اي مشكلة فلسطين — لديكم باعتبارها شحنة عاطفية . واذكر في هذا المجال ان سلفكم الرئيس دوايت ايزنهاور قال لي ، عندما كان لي شرف لقائه في نيويورك في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٠ ان بعض الساسة العرب كانوا يدلون بتصريحات علنية مشددة في موضوع فلسطين ، ثم يتصلون بالحكومة الاميركية يخففون من وقع تشددهم قائلين ان تصريحاتهم كانت موجهة للاستهلاك المحلي .

واني لاسف حقيقة ان هذه الاصوات المتخاذلة المترددة ، استطاعت ان تجد من يسمعها في بلادكم ، وان كانت في بلادنا ، مهما تظاهرت بالتصلب في الحق ، لم تجد من يسمعها او يثق بها . ولقد اثبتت الحوادث فيما بعد ، على اي حال ، ان هؤلاء الذين خدعوكم لم يتمكنوا من خداع شعوبهم » .

وقال في الموضع الاخر من الرسالة :

« لقد حاولت في هذا الخطاب ان افتح لكم قلبي ، واذا ما خطر لاحد من الذين سوف تتاح لهم فرصة الاطلاع عليه ان اعتبارات السياسة المحلية هي التي املته فان ذلك خطا كبير ... واذا ما سمحت لي فاني اقول ان الذين تابعوا ما يحدث في بلادنا يعرفون انني افضل في جميع الظروف ان اقول لامتي ما اؤمن بان واجبها ان تسمعه » .

٣ — يعرف عبد الناصر حقيقة الخطر الاسرائيلي على الامة العربية وكامل مستقبلها ، وقد عبر عنه في رسالته الى كينيدي بالشكل التالي :

« ان الخطر الاسرائيلي بعد ذلك كله لا يمثل مجرد ما تم حتى الان من عدوان على الحق العربي ، وانما هو يمتد الى المستقبل العربي ويهدده بافدح الاخطار. واذا ما لاحظتم استمرار الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، وتشجيعها ، وفتح الابواب امامها ، رايتم معنا ان هذه الهجرة تصنع ضغطا داخل اسرائيل ، لا بد ته ان ينفجر ويتجه الى التوسع . ولعل ذلك

البقية على صفحة ٨

بقلم

برهان الدجاني

الهجرة
الارض المحتلة

سجلت الاحصاءات انه بين عامي ١٩٦٠ — ١٩٦٤ ارتفع عدد المهاجرين الى اسرائيل فوصل الى ربع مليون مهاجر .

وكانت الاحصاءات ذاتها قد سجلت انه بين عامي ١٩٥٢ وعام ١٩٦٠ لم يتجاوز عدد المهاجرين ٣٣ الفا .

وقالت الاحصاءات ايضا انه بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٣ قرر حوالي ٨٤٠٠ سائحا ان يبقوا في اسرائيل ، وان عددا مماثلا يقيم مؤقتا للتعرف على امكانيات « الاستقرار » .

وقد فاجأت هذه الارقام المراقبين الذين اعتقدوا لفترة طويلة ان اي ازدياد في اعداد المهاجرين الى اسرائيل لن تحدث الا اذا سمح الاتحاد السوفياتي لليهود المواطنين فيه بالهجرة ، ولكن مثل هذا السماح لم يحدث .

ولذلك يتساءل المراقبون عن السبب الذي من اجله حققت السنوات الممتدة بين ٩٦٠ — ١٩٦٤ هذا الارتفاع في عدد المهاجرين والذي بلغ حوالي ثمانية اضعاف عدد المهاجرين الذين جاؤوا الى الارض المحتلة في السنوات الثمانية التي امتدت بين عام ١٩٥٢ — ١٩٦٠ .

انه من المعروف ان اسرائيل اتجهت منذ اواخر الخمسينيات الى محاولة استجلاب المهاجرين من صفوف الطبقات الفقيرة بعد ان ركزت اساسا على المهاجرين من الطبقات الوسطى.

وعلى اساس هذه المحاولة رفعت المؤسسات الصهيونية ميزانياتها الخاصة بالتهجير شعورا بان استجلاب مثل هؤلاء يحتاج الى مزيد من المصاريف .

وبالمقابل فان الفائدة من احضار هذا النوع من المهاجرين تنحصر في تشغيلهم داخل المستعمرات النائية ، والتي تم التخطيط لانشائها في وقت متأخر ، وخصوصا في النقب .

ولذلك جاءت الاحصائيات تقول ان ثلثي المهاجرين الجدد قد سيقوا الى المستعمرات النائية ، وان الثلث فقط ، ومعظمه من الفنيين ، استقر في المناطق الساحلية المزدحمة .

وتوزع هذا الثلث كما يلي : في اسدود التي ارتفع عدد سكانها من ٣٤٠٠ في ١٩٦٠ الى ١٣٫٨٦٥ عام ١٩٦٤ ، وفي بئر السبع التي استوعبت في السنوات الاربع الماضية ١٣٫٩٥٨ مهاجر جديد ، بينما امتصت القدس حوالي ١٢ الف مهاجر في نفس المدة.

● مشاكل التهجير

وقد ادى عدم توقع ارتفاع عدد المهاجرين هذا الى جملة مشاكل : فكثير من المهاجرين اسكنوا في بيوت لم ينته بناؤها بعد ، واكثر منهم مازالوا متعطلين عن العمل .

الا ان المشكلة الاكبر هي ان امواج المهاجرين الجدد تلاقي نوعا من الاضطهاد و « التكبر » يمارسه عليها المهاجرون الاقدم .

ان « الاستعداد » لتشجيع هجرة الطبقة الفقيرة يستجلب معه عددا اخر من المشاكل ، فالزمن الذي كان فيه وكلاء التهجير يمارسون الانتقاء ، ويختارون الشباب قد ولى نتيجة لفشل فكرة « ارض الميعاد » ، ولذلك فان نظرة بسيطة الى الاحصاءات ترينا ان عشرين بالمئة من المهاجرين الذين جاؤوا عام ١٩٦٠ هم من الذين تجاوزوا الخمسين من اعمارهم ، وفي عام ١٩٦٢ بلغ عدد المهاجرين الذين يشكون من امراض بدنية وعقلية مختلفة ما معدله ٣٦ بالمئة من مجموع المهاجرين ذلك العام .

وبالاجمال فان ٢٥ بالمئة من المهاجرين الذين وصلوا بين ١٩٦٠ — ١٩٦٤ كانوا بحاجة الى مساعدة اجتماعية لعجزهم عن العمل ، وكانت هناك نسبة كبيرة اخرى بحاجة الى مساعدة لعدم توفر العمل .

● من الغرب

وتدعي الوكالة اليهودية في احصاء نشرته مؤخرا ان اعداد المهاجرين القادمين من الغرب هي في ازدياد مستمر ، ففي السنوات الاربع الماضية جاء ٢٣٩٥ من بريطانيا ، و ٦٦١٢ من الولايات المتحدة وكندا ، و ٩٣٩٣ من اميركا اللاتينية .

وهذه الاعداد مجتمعة تشكل نسبة ضئيلة من مجموع الرقم الذي سجلته الهجرة في السنوات الاربع الماضية ، فمن اين جاء المهاجرون اذن ؟

● من شمال افريقيا

الامر الذي لا شك فيه ان جزءا من هؤلاء المهاجرين جاؤوا من تونس ، وان جزءا آخر قد سيق بالاغراء والرشوة من بين اليهود الجزائريين الذين ذهبوا الى فرنسا ، وقالت احصاءات اخرى ان بقية المهاجرين انما جاؤوا من اوروبا الشرقية والهند وبعض بلدان اسيا .

وكانت الحاجة الى اعمار النقب هي الملحة ولذلك نرى ان العدد الاوفر من المهاجرين قد سيقوا الى هناك .

ورغم كل شيء فان هذا العدد لايكفي وترغب اسرائيل رغبة كبيرة في اقناع اليهود الجزائريين الذين يسكنون في فرنسا بالهجرة الى اسرائيل .

● محاولات خطيرة

ففي تقرير كتبه هنري موير رئيس صندوق الوكالة اليهودية مؤخرا جاء قوله : « اذا تابعنا حملات جمع المزيد من التبرعات فاننا سنكتشف كما تشير الدلائل الان ان الصهيونية ستستعمل هذه الاموال للضغط على يهود الجزائر المقيمين في فرنسا حتى يسافروا الى اسرائيل » ، وسجل هذا التقرير قول « وفدفاني » المسؤول عن دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية ان اهم اهداف الوكالة هو « تحويل اليهود ، وبمعنى اخر دفعهم للذهاب الى اسرائيل » .

وقد جاء « دفدفاني » مع مساعديه الى باريس لهذه المهمة ، وصرح ناطق باسمهم ان العدد الاصلي ليهود الجزائر هو ١٥٠ الف شخص ذهب اقل من ١٠ بالمئة منهم الى اسرائيل ، وذهب ١٠٠ الف الى فرنسا .

ولكن هذا العمل يلاقي صعوبات جمة ، وكمثال على ذلك فقد وجهت صحيفة لارشيه الفرنسية الى عدد كبير من اليهود سؤالا عن السبب الذي يمنعهم من الهجرة الى اسرائيل ، وكان الجواب « لاننا لسنا انذالا ! »

وتعتقد الصحيفة ان سبب هذا الجواب هو ان اسرائيل التي تواصل تشجيع الهجرة بين يهود شمال افريقيا قد خلقت في المجتمع الشمال افريقي شعورا بالتمييز والانفصال .

وامام هذا الوضع طلب موير ، المشار اليه ، مبلغ ١٠٠ الف دولار دفعة اولى وبصورة عاجلة للبدء في مشاريع التهجير بين اليهود الجزائريين في فرنسا ، عن طريق الاغراء .

وتعتقد المصادر العالمية انه ، اذا ما نجحت الوكالة اليهودية في اقناع اليهود الجزائريين في فرنسا ، سواء بالاغراء او التهديد ، بالهجرة الى اسرائيل فان العام القادم على الاقل سيشهد تدفقا في الهجرة لم تشاهده الارض المحتلة منذ عام ١٩٥٥ .

قبل ١٦ عاما

١ كانون الاول ١٩٤٨

● على اثر الشائعات التي ترددت امس من ان بريطانيا قد تستعمل حق الفيتو لرفض قبول « اسرائيل » عضوا في هيئة الامم المتحدة ، اعلنت اليوم محطة الاذاعة البريطانية في معرض بحثها مسالة الحد من استعمال حق الفيتو في مجلس الامن ، ان ناطقا رسميا باسم الوفد البريطاني اكد ان بريطانيا لن تستعمل حق الفيتو للحيلولة دون قبول اية دولة تحصل على تاييد ثلثي اعضاء مجلس الامن، عضوا في هيئة الامم المتحدة .

٢ كانون الاول ١٩٤٨

● بغداد — واع — افتتح الوصي اليوم الدورة الجديدة للبرلمان العراقي وقد جاء في خطاب العرش الذي القاه ، ان العراق مثل دورا عظيما في السياسة العربية الخاصة بفلسطين وانه ساهم بجيوشه في حملة انقاذها . ودعا خطاب العرش اخيرا الى توحيد القيادات العربية .

٣ كانون الاول ١٩٤٨

● باريس — ٢ — تابعت اللجنة السياسية ظهر الخميس المناقشة في الفقرة الثانية من المشروع البريطاني المتعلقة بلجنة المصالحة التي ستنوب مناب الوسيط ولجنة الهدنة في فلسطين وتحل الخلافات بين الطرفين ، وصلاحياتها وعدد اعضائها .

٤ كانون الاول ١٩٤٨

● القدس — وجه بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل رسالة الى اليهود قال فيها : « ان الانتصارات العسكرية الاخيرة هي مقدمة من احدى المقدمات لاهداف اسرائيل البعيدة . فعلى الشعب ان يكتل قواه للوصول الى تلك الاهداف ، وان ما ستقرره هيئة الامم المتحدة في الايام القادمة هو قليل مما انتظره الشعب اليهودي مدة الاف السنين .. فاستعدوا للوصول الى الهدف النهائي الاسمى في بناء الدولة اليهودية ، وجلب يهود العالم اجمع » .

٤ كانون الاول ١٩٤٨

● عمان — دعا المستر بيني احد كبار موظفي الخارجية البريطانية الملحق بالوفد البريطاني الى هيئة الامم المتحدة ، السادة رياض الصلح وخشبة باشا وفارس الخوري وغيرهم من اعضاء الوفود العربية ، الى حفلة غداء وتناول البحث الاقتراح البريطاني الذي لبس الان شكل وصية من اللجنة السياسية العامة . وقيل ان الوفد البريطاني حاول اقناع المندوبين العرب بضرورة التصويت لهذا الاقتراح في الجمعية العامة .

٩ كانون الاول ١٩٤٨

● القاهرة — نشبت امس معركة بين المصريين واليهود في جنوبي النقب استخدم فيها الطرفان المصفحات والمدفعية وذلك بعد ان اطلق اليهود النار على قافلة مصرية . ولم تصدر الدوائر المصرية بيانا رسميا بما حدث ، على جري عادتها . وجاء في بلاغ يهودي عن الحادث ان اليهود دمروا خمس مصفحات مصرية .

١٠ كانون الاول ١٩٤٨

● لندن — اكد ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية اليوم ان بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ارسلت اقتراحا الى الحكومة العراقية باعادة فتح خط انابيب البترول الى حيفا .

١١ كانون الاول ١٩٤٨

● القاهرة — اشترط اليهود لتحرير القوات المصرية ان يعطي المصريون ضمانات كافية بالا تستعمل هذه القوى في ميدان اخر . ويقوم المراقبون الدوليون باتصالات مع القيادة المصرية والقيادة اليهودية في هذا الصدد . وتقدر هيئة المراقبين الدوليين القوى المصرية المحاصرة في الفالوجة باثني عشر الفا .

بلادك
عكا

مبنية على رأس صخري يقع على الطرف الشمالي لخليج عكا . ويشكل سهل عكا امتدادا للقسم الجنوبي من المدينة والذي يزداد اتساعا كلما اتجهنا جنوبا . وهنالك يصب في البحر في مكان ليس ببعيد عن المدينة النهر الذي زود الفينيقيين بالاصداف التي استخرجوا منه اللون الارجواني .

ولعكا تاريخ مأساوي مثير ، فموقعها الاستراتيجي على الاوتوستراد العسكري الذي يمتد على طول الشاطىء ، وقربها من المدخل الغربي لسهل مرج ابن عامر ، واهميتها كميناء طبيعي ليس فقط للجليل ، بل لدمشق وحوران ، اعطت لعكا اهمية سياسية واقتصادية .

واحتل العرب المدينة سنة ٦٣٨ ميلادية . ثم احتلها بلدوين الاول سنة ١١٠٤ م (الغزو الصليبي الاول) لكن صلاح الدين استردها سنة ١١٨٧ م (الغزو الصليبي الثاني) ، وبعد حصار طويل احتلها ريتشارد قلب الاسد سنة ١١٩١ م (الغزو الصليبي الثالث) ، واستردت نهائيا سنة ١٢٩١ م.

اما الاتراك فقد احتلوها بقيادة سليم الاول سنة ١٥١٧ م. ، وبعد ذلك بدأت اهميتها تقل . وقد اخذت بالانتعاش بعد دخول عمر الظاهر اليها سنة ١٧٤٩ ، وعاد اليها استقلالها ونمت ثرواتها تحت حكم خليفته احمد الجزار . واستطاعت مقاومة نابليون بنجاح سنة ١٧٩٩ م . وفي سنة ١٨٣٢ دمرها ابراهيم باشا واحتلها . وفي ٤ تشرين الثاني ١٨٤٠ هاجمت اساطيل بريطانيا وتركيا والنمسا الحليفة بقيادة سير شارل نابيير عكا وقصفتها بالقنابل لمدة ثلاث ساعات مما هدم قسما منها . وفي السنة التالية استعادتها تركيا واحتفظت بها حتى ٢٣ ايلول ١٩١٨ عندما احتلها فوج الفرسان الثالث عشر (جيش الفرسان الخامس) التابع للحملة المصرية بدون مقاومة .

بلغ عدد سكان عكا ٩٥٠٠ نسمة سنة ١٩٤٠ . واثناء الانتداب البريطاني على فلسطين كانت تابعة اداريا للمقاطعة الشمالية . وخلال الحكم التركي كانت اهم مدينة ضمن المقاطعة الحكومية التابعة لها . واشتهرت سابقا لكونها ميناء رئيسيا تشحن منه الغلال التي كانت تحملها الجمال من سهل حوران . وعند افتتاح الخط الحديدي بين دمشق وبيروت سنة ١٨٩٦ م انخفضت تجارتها كثيرا . وعند افتتاح الخط الحديدي بين دمشق وحيفا سنة ١٩٠٦ تحول ما بقي من تجارتها الى حيفا . وقبل كارثة فلسطين اصبحت مرفا صغيرا تشحن الغلال المحلية ولشحن السمسم والزيوت والبرتقال الى بيروت .

وكان يصنع فيها بعض المنتجات النحاسية والفولاذية الصغيرة على نطاق ضيق . واستخدمت كمحطة جمارك مساعدة لجمارك حيفا . اما الخط الحديدي بين عكا وبيروت فلم يبن الا سنة ١٩٤٢ . وقد اعتبرت عكا المركز الرئيسي للبهائية ، والتي اسسها عبد البهاء الذي توفي فيها سنة ١٩٢١ وخلفه حفيده شوقي افندي ، الذي اختير رئيسا مدى الحياة لمجمع التسعة الذي يدير شؤون الطائفة .

نتيجة للمعارك العديدة التي خاضتها عكا لم يبق من ابنيتها القديمة الا القليل ومن اشهرها الجامع الكبير الذي بناه الجزار .

سقطت عكا بايدي اليهود في ١٨ — ٥ — ١٩٤٨ بعد مقاومة باسلة استمرت اياما ، وبسقوطها انفتحت بوابات الشمال امام الاجتياح الصهيوني .

يعيش بضعة آلاف من العرب في عكا ويعانون من قسوة التسلط الاسرائيلي معاناة فاجعة .

يسميها العدو : عكو .

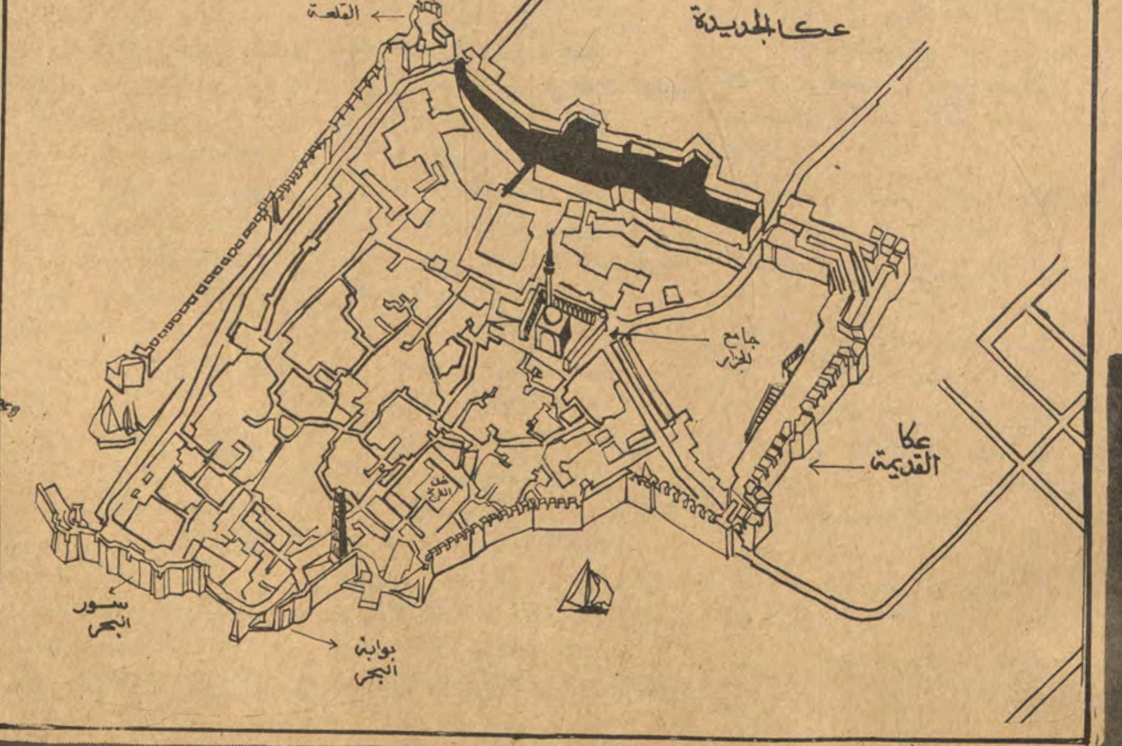

اوراق قديمة

مسألة رفع عتب !

في ٢٠ تشرين اول عام ١٩٤٨ دعيت الى اجتماع عسكري يعقد في شتورة للمداولة في طريقة لنجدة الجيش المصري .

وكان يترأس هذا الاجتماع رئيس الوزارة السورية ووزير الدفاع السيد جميل مردم ، وحضر الاجتماع وزير الدفاع اللبناني الامير مجيد ارسلان .. والزعيم حسني الزعيم قائد الجيش السوري والمقدم ناصر رئيس ركن في الجيش السوري والعقيد محمود الهندي من اللجنة العسكرية .

افتتح السيد جميل مردم الاجتماع بقوله : « لا بد لنا من نصرة الجيش المصري فما رايكم في الامر ، وكيف يمكن ان ننجدهم ؟ »

والتفت الي كانما هو يطلب رأيي فقلت : « يمكن ان نقدم للجيش المصري مساعدة مباشرة ومساعدة غير مباشرة ، فالاولى لا يمكن ان يقوم بها الا الجيشان الاردني والعراقي المرابطان في منطقة تتصل بمنطقة الجيش المصري والمساعدة غير المباشرة يستطيع القيام بها الجيشان السوري واللبناني وجيش الانقاذ وذلك بحركة واسعة في الجليل مما يضطر اليهود الى سحب قوات كبيرة لتوقيف هذه الحركة فنخفف بذلك ضغطا شديدا عن الجيش المصري ، وهذه الحركة يجب ان تقوم باسرع ما يمكن وقبل ان تتم عملية القوات اليهودية على الجبهة المصرية وتصبح قادرة على التفرغ لمجابهة حركاتنا .

ونستطيع ان نتفق على وقت هذه المساعدة وتفصيلاتها كافة الان .

اما المساعدة التي يمكن ان يقوم بها الجيشان العراقي والاردني فيجب ان يتم التفاهم على وقتها وتفصيلاتها مع قيادة الجيش المصري ، وما عليهم الا ان يعلمونا بالوقت الذي يختارونه لنكون على استعداد لمشاركتهم وتنسيق هذه الحركات كلها تنسيقا نافعا » .

كان هذا خلاصة ما ابديته من رأي ، ولم تختلف آراء بقية القادة والضباط الحاضرين عن رأيي هذا مع اضافة بعض الملاحظات .

وقال السيد جميل مردم : « عال !! اذن يذهب الزعيم حسني مع الجنرال شهاب الى مصر ليطلعا المسؤولين على مقرراتنا وياخذا رأيهم في الامر » .

وكان اقتراح السيد مردم هذا مخرجا بارعا لاثبات رغبته في نجدة الجيش المصري والتخلص من تنفيذها !

ووافق حسني الزعيم على هذا الاقتراح ، « الا ان بعض الضباط طالبوا ببحث أدق يضع كافة الاحتمالات في الحسبان » .

الا ان السيد جميل مردم التفت اليهم وقال ناهضا :

— « يا جماعة ما هي مسالة رفع عتب ! »

مذكرات القاوقجي

اوراق قديمة

جميل مردم

مسألة رفع عتب !

في ٢٠ تشرين اول عام ١٩٤٨ دعيت الى اجتماع عسكري يعقد في شتورة للمداولة في طريقة لنجدة الجيش المصري ٠

وكان يترأس هذا الاجتماع رئيس الوزارة السورية ووزير الدفاع السيد جميل مردم ، وحضر الاجتماع وزير الدفاع اللبناني الامير مجيد ارسلان ٠٠ والزعيم حسني الزعيم قائد الجيش السوري والمقدم ناصر رئيس ركن في الجيش السوري والعقيد محمود الهندي من اللجنة العسكرية ٠

افتتح السيد جميل مردم الاجتماع بقوله : « لا بد لنا من نصرة الجيش المصري فما رأيكم في الامر ، وكيف يمكن ان ننجدهم ؟ »

والتفت الي كانما هو يطلب رأيي فقلت : « يمكن ان نقدم للجيش المصري مساعدة مباشرة ومساعدة غير مباشرة ، فالاولى لا يمكن ان يقوم بها الا الجيشان الاردني والعراقي المرابطان في منطقة تتصل بمنطقة الجيش المصري والمساعدة غير المباشرة يستطيع القيام بها الجيشان السوري واللبناني وجيش الانقاذ وذلك بحركة واسعة في الجليل مما يضطر اليهود الى سحب قوات كبيرة لتوقيف هذه الحركة فنخفف بذلك ضغطا شديدا عن الجيش المصري ، وهذه الحركة يجب ان تقوم باسرع ما يمكن وقبل ان تتم عملية القوات اليهودية على الجبهة المصرية وتصبح قادرة على التفرغ لمجابهة حركاتنا ٠

ونستطيع ان نتفق على وقت هذه المساعدة وتفصيلاتها كافة الآن ٠

اما المساعدة التي يمكن ان يقوم بها الجيشان العراقي والاردني فيجب ان يتم التفاهم على وقتها وتفصيلاتها مع قيادة الجيش المصري ، وما عليهم الا ان يعلمونا بالوقت الذي يختارونه لنكون على استعداد لمشاركتهم وتنسيق هذه الحركات كلها تنسيقا نافعا » ٠

كان هذا خلاصة ما ابديته من رأي ، ولم تختلف آراء بقية القادة والضباط الحاضرين عن رأيي هذا مع اضافة بعض الملاحظات ٠

وقال السيد جميل مردم : « عال !! اذن يذهب الزعيم حسني مع الجنرال شهاب الى مصر ليطلعا المسؤولين على مقرراتنا ويأخذا رأيهم في الامر » ٠

وكان اقتراح السيد مردم هذا مخرجا بارعا لاثبات رغبته في نجدة الجيش المصري والتخلص من تنفيذها !

ووافق حسني الزعيم على هذا الاقتراح ، « الا ان بعض الضباط طالبوا ببحث أدق يضع كافة الاحتمالات في الحسبان » ٠

الا ان السيد جميل مردم التفت اليهم وقال ناهضا :

ــ « يا جماعة ما هي مسألة رفع عتب ! »

مذكرات القاوقجي

بلادك

عكا

مبنية على رأس صخري يقع على الطرف الشمالي لخليج عكا ٠ ويشكل سهل عكا امتدادا للقسم الجنوبي من المدينة والذي يزداد اتساعا كلما اتجهنا جنوبا ٠ وهناك يصب في البحر في مكان ليس ببعيد عن المدينة النهر الذي زود الفينيقيين بالاصداف التي استخرجوا منه اللون الارجواني ٠

ولعكا تاريخ مأساوي مثير ، فموقعها الاستراتيجي على الاوتوستراد العسكري الذي يمتد على طول الشاطىء ، وقربها من المدخل الغربي لسهل مرج ابن عامر ، واهميتها كميناء طبيعي ليس فقط للجليل ، بل لدمشق وحوران ، اعطت لعكا اهمية سياسية واقتصادية .

واحتل العرب المدينة سنة ٦٣٨ ميلادية . ثم احتلها بلدوين الاول سنة ١١٠٤ م (الغزو الصليبي الاول) لكن صلاح الدين استردها سنة ١١٨٧ م (الغزو الصليبي الثاني) ، وبعد حصار طويل احتلها ريتشارد قلب الاسد سنة ١١٩١ م (الغزو الصليبي الثالث) ، واستردت نهائيا سنة ١٢٩١ م.

أما الاتراك فقد احتلوها بقيادة سليم الاول سنة ١٥١٧ م. ، وبعد ذلك بدأت اهميتها تقل . وقد اخذت بالانتعاش بعد دخول عمر الظاهر اليها سنة ١٧٤٩ ، وعاد اليها استقلالها ونمت ثرواتها تحت حكم خليفته احمد الجزار . واستطاعت مقاومة نابليون بنجاح سنة ١٧٩٩ م . وفي سنة ١٨٣٢ دمرها ابراهيم باشا واحتلها . وفي ٤ تشرين الثاني ١٨٤٠ هاجمت اساطيل بريطانيا وتركيا والنمسا الحليفة بقيادة سير شارل نابيير عكا وقصفتها بالقنابل لمدة ثلاث ساعات مما هدم قسما منها . وفي السنة التالية استعادتها تركيا واحتفظت بها حتى ٢٣ ايلول ١٩١٨ عندما احتلها فوج الفرسان الثالث عشر (جيش الفرسان الخامس) التابع للحملة المصرية بدون مقاومة .

بلغ عدد سكان عكا ٩٥٠٠ نسمة سنة ١٩٤٠ . واثناء الانتداب البريطاني على فلسطين كانت تابعة اداريا للمقاطعة الشمالية . وخلال الحكم التركي كانت اهم مدينة ضمن المقاطعة الحكومية التابعة لها . واشتهرت سابقا لكونها ميناء رئيسيا تشحن منه الغلال التي كانت تحملها الجمال من سهل حوران . وعند افتتاح الخط الحديدي بين دمشق وبيروت سنة ١٨٩٦ م انخفضت تجارتها كثيرا . وعند افتتاح الخط الحديدي بين دمشق وحيفا سنة ١٩٠٦ تحول ما بقي من تجارتها الى حيفا . وقبل كارثة فلسطين اصبحت مرفأ صغيرا تشحن الغلال المحلية ولشحن السمسم والزيوت والبرتقال الى بيروت .

وكان يصنع فيها بعض المنتجات النحاسية والفولاذية الصغيرة على نطاق ضيق . واستخدمت كمحطة جمارك مساعدة لجمارك حيفا . اما الخط الحديدي بين عكا وبيروت فلم يبن الا سنة ١٩٤٢ . وقد اعتبرت عكا المركز الرئيسي للبهائية ، والتي أسسها عبد البهاء الذي توفي فيها سنة ١٩٢١ وخلفه حفيده شوقي افندي ، الذي اختير رئيسا مدى الحياة لمجمع التسعة الذي يدير شؤون الطائفة .

نتيجة للمعارك العديدة التي خاضتها عكا لم يبق من ابنيتها القديمة الا القليل ومن اشهرها الجامع الكبير الذي بناه الجزار .

سقطت عكا بايدي اليهود في ١٨ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ بعد مقاومة باسلة استمرت اياما ، وبسقوطها انفتحت بوابات الشمال امام الاجتياح الصهيوني ٠

يعيش بضعة آلاف من العرب في عكا ويعانون من قسوة التسلط الاسرائيلي معاناة فاجعة ٠

يسميها العدو : عكو ٠

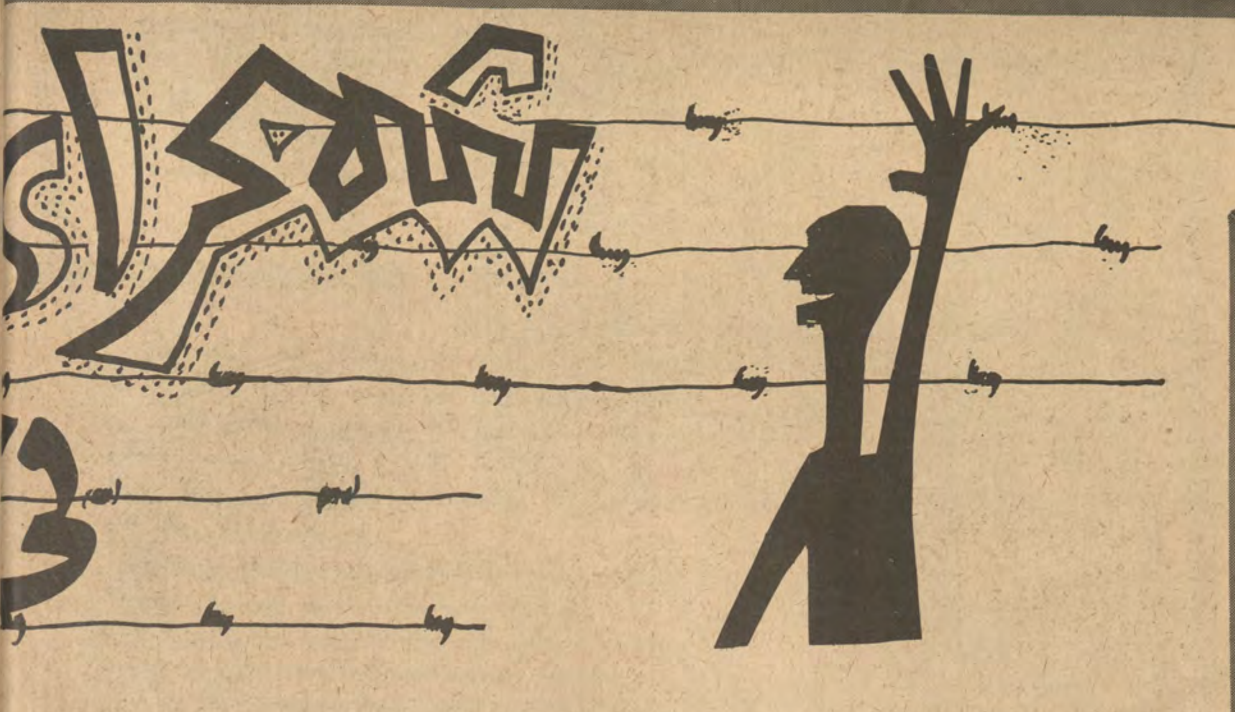

لا بد للحياة من ان تستمر بكل ابعادها في صفوف عرب الارض المحتلة رغم كل محاولات اليهود لسحق شخصيتهم وتفتيتها ٠ ونستطيع ان نتصور من هنا كيف ان كثيرا من ابعادهم الحياتية مجهولة لدينا اما بسبب امكانيات الاتصال المستحيلة معهم ، واما بسبب اضطرارهم لابقاء الكثير من تلك الابعاد مخفية في نفوسهم ، ومحرومة من امكانية الاعلان الحر عنها ٠

وفي هذا المجال لا بد ان تأخذ الثقافة حيز المقاومة الاقوى من قبل السلطة الحاكمة هناك ، حتى تنقطع كل صلة للتخاطب والحوار فيما بينهم ، وحتى لا ينمو جنين الثقافة هذا فتصعب السيطرة عليه ٠ وتنفيذا لذلك لا بد من تقليص التعليم والغائه أحيانا ، ولا بد من ان يقتصر هذا التعليم على المراحل الاولية فقط ، وتنفيذا لذلك أيضا لا بد من حجب اي نتاج عربي جيد من الوصول اليهم ، ولا بد من منع اي نتاج جيد يصدر عنهم من الظهور ٠ هذا ان لم يؤد نتاج جيد يصدر عنهم ويعبر عن حقيقة مشاعرهم ومطامحهم الى سوق صاحبه للسجن وتقديمه للمحاكمة ٠

وفي هذا العرض الموجز سنقدم مجموعة من القصائد نشرت عام ١٩٥٣ لعدد من الشعراء الناشئين . ومن البديهي ان تكون هذه القصائد بعد ان حازت على رضى المراقب اليهودي ، مقتصرة على محاولات بدائية في كتابة الشعر ، لا تتعرض لاكثر من المواضيع الغزلية والوصفية بحيث لا تثير غضب اي مسؤول حين يطلع عليها . وسنلاحظ في هذه المجموعة ايضا ان اغلب هؤلاء الشعراء ــ باستثناء اليهود منهم ــ لم يكن عمر احدهم ليتجاوز العشرين يوم نشر الديوان . ومن شأن هذا النشر المبكر ضمن بيئة ثقافية عقيمة ان يظهر المثقفين العرب الذين تتبرع اسرائيل بنشر نتاجهم ، بصورة بدائية لا تدعو للتفاؤل او التشجيع .

الا اننا سنلاحظ رغم ان هذه المجموعة نشرت برضى السلطات اليهودية ، ورغم ان كتابها لم يكونوا آنذاك الا شبابا في بداية وعيهم وتفتحهم . كيف ان بذور التمرد مغروسة حتى في نتاجهم الاولي الذي سمح لهم باصداره .

جمال قعوار

ونبدأ استعراضنا السريع هذا بحديث عن الشاعر جمال قعوار .

ولد جمال في الناصرة عام ١٩٣٠ وتلقى دراسته في مدرستها الحكومية زمن الانتداب . يعمل حاليا معلما في دائرة المعارف ، وهو آحد محرري مجلة المجتمع ، وسبق له ونشر بالاشتراك مع صاحب المجلة مسرحية للاحداث اسمياها « ظلام ونور » .

يقول الشاعر في قصيدة « سر الى جانبي » :

سر الى جانبي فلست وحيدا
نحن حران لا نطيق القيودا
سوف نلقى هناك قيدا جديدا
ونلاقي زجرا هنا ووعيدا
وجيوش الظلام تنشىء سدا
ليس سد يثني العباب شديدا
وضروب الارهاب تنفث نارا
ان نور الايمان اقوى جنودا
وغرام التحرير احكم رايا
وحديد الصدور اصلب عودا
سر الى جانبي الى النور انا
سنحيل الظلام فجرا سعيدا
انا اما مشيت دربا بعيدا
ليس دربي وانت قربي بعيدا
انا اما قصدت يوما نجاحا
تعطني قوة ورأيا سديدا .

ونستطيع ان نلاحظ في هذا المقطع بوضوح روح التمرد ، والدعوة للتعاون والعمل ، ولكن ما ان نمضي مع القصيدة خطوة صغيرة اخرى حتى نرى كيف ان الشاعر قد حول بشكل مفتعل الموضوع الذي تدور عليه قصيدته الى مجرد موضوع عادي بعيد كل البعد عن الموضوع الذي بدأ به قصيدته .

يضيف الشاعر :

سر الى جانبي فاما رأينا
عاجزا ناقلا خطاه وئيدا
ليس يرجو الوصول دون دليل
نحن كنا له الدليل الرشيدا

ولا شك بان وراء هذا التحول رغبة في اخفاء المعنى الحقيقي للقصيدة حتى تمر على المراقب بهدوء ، املا في امكان نشرها .

ومرة اخرى نستطيع ان نكتشف مثل هذا التغليف للمعنى الحقيقي الذي يريده الشاعر في قصيدة « ابي » التي يبدأها قائلا :

جثم الليل فوق صدري الضعيف
يرقب الصمت في الظلام المخيف
انا يا ليل في ربيع شبابي
وكاني من قفره في الخريف
ايها الليل لم تطيل عذابي ؟
يتمادى الظلام طولا وعرضا
يفرض الخوف في فؤادي فرضا
وانا ارهب النهار عديدا
وضجيج الانام يملأ الارضا
كيف اقوى على الظلام وحيدا
غير اني وقد لمحت خيالا
لابي يملأ الظلام جلالا
وانا والمنى لعل وليتا
واقاسي ولا اطيق احتمالا
يا ابي لم تركتني ومضيتا ؟

من هو الاب والى اين مضى ؟ قد يكون رمزا للقوة التي تخلت عن الشاعر وتركته وحيدا في مواجهة الاحتلال . وقد يكون رمزا للجيل الذي ناضل وسقط فوق الارض التي قاتل من اجلها . وقد يكون في اسوأ الاستنتاجات مجرد شكل ذاتي لمضمون التعب والارهاب الذي يعبر عنه حديث الظلام والخوف في القصيدة .

ماذا تجد في ديوان شعـ...

لا يوجد فـن...

ولكن يوجد...

حبيب توفيق الشويري

ولد في قرية كفر ياسيف قرب عكا عام ١٩٣٦ ، وبدأ نظم الشعر في سن الرابعة عشرة ، ويوم نشرت قصائده ، التي سنقتطف جزءا منها ، لم يكن عمره انذاك يتعدى السابعة عشرة ، ويوم بدأ الكتابة تنبأ له كل من حوله بمستقبل زاهر . وتفيد نتف من الاخبار القليلة القادمة من الارض المحتلة ، ان اسمه بدأ فعلا بالبروز كشاعر قوي ، رغم انعدام اي فرصة امامه لنشر انتاجه الذي يرضى هو عنه . يقول الشاعر في قصيدته « العامل يتحدث »:

من عروش الظلم والطغيان كم عرش ثللت
مع اخواني في المعمل والحقل انتفضت
فمحونا كل شر وبلغنا ما املت
وتسلمت قياد الامر لكن ما ظلمت .

★ ★ ★

نحن لا نرضى هوانا لا ولا اي فساد
نحن في عالمنا ركن ازدهار واجتهاد
لا نبالي بخطوب الدهر او بطش الاعادي
نحن من نور ونار في تفان ورشاد .

ويقول الشاعر في قصيدة اخرى بعنوان « يا شاعري » :

قد يهمس البعض جنون
قد يهزأون ويشتمون
لكن ستمضي في الطريق
نحو الهدى نحو اليقين
يا شاعري
من يحطم القيد الشديد
من يخلق الكون السعيد

ادب فلسطين في نصف شهر

- كانوا اربعة ــ بيان نويهض
- خبز الفداء ــ سميرة عزام

قليل ما يكتب عن النكبة من ادب ، وقليلة هي الاعمال التي تصور معنى هذه الكارثة ، العالمية التي تعد اكبر وصمة عار في الضمير العالمي الانساني ٠

ان توالي تطورات هذه القضية وانتقالها وبحثها من جميع النواحي يجعل من الادب الذي يسطر عنها قليلا جدا ٠

فكما للسياسة دورها القوي في التحريك كذلك الادب . فهو لا يقل عن السياسة فعلا في الاثارة . فلو اردنا ان نقرأ ما يكتب عن المشكلة الفلسطينية في دراسات وتحاليل لما وجدنا الوقت الكافي لقراءة اليسير من هذه الابحاث . ولكن لو عدنا الى المجال الادبي لوجدنا انفسنا امام تساؤل مخيف : أين دور الادب في الدفاع عن الحق السليب ؟ لقد مر ما يقارب ٢٥ عاما على اندلاع الحرب العالمية الثانية ولم يزل كبار الادباء العالميين يتخذون منها مسرحا لاهم اعمالهم الابية الخالدة. اما نحن ، العرب ، فلم نكتب عن مشكلتنا الاولى سوى القليل .

★★★

● اخر ما قرأته في هذا الصدد كانت قصة جيدة ، كتبتها بيان نويهض وعبرت فيها تعبيرا قويا عن الخلجات الانسانية التي تدور في صدور المعذبين المشردين من ديارهم .

وتتحدث الكاتبة في قصتها عن الاعمال الوحشية التي كان يقوم بها العدو فتقول : « لماذا شطرتم البيت الى قسمين ؟ هل تريد يا حضرة المندوب ان يرى الغرباء زوجتك وهي تطبخ ، وهي تغسل ، وهي تمشي في بيتها ؟ » وتستطرد في موقف اكثر تعبيرا :

« اتركها .. اتركها يا رئيسي .. اقبل يديك .. آريد ان ادفنها تحت التراب .. اي تراب » ..

هكذا تتكرر هذه المواقف المؤلمة كل يوم .. وهكذا « يتكوع اللاجئون فوق بعضهم البعض كالجراء قرب النار » .

هل هناك افظع من اجرام كهذا ؟ فعلا أين ما يسمونه بحرية الضمير ؟ هذا الضمير المتحجر الذي أعمته الصهيونية وضللته .. ولكن متى تنقشع عنه هذه الغيوم الكاذبة ؟ ..

« كانوا اربعة » قصة تصور حياة كل عائلة فلسطينية مشردة تكافح لتعود اليها كرامتها السليبة .. تحس وانت تقرأ « كانوا اربعة » انك تمر امام لوحات فنية معبرة لما يدور في نفس الكاتبة من اشواق العودة والحنين اليها .

قصة بيان نويهض هذه تصلح لان تكون رواية كبيرة نترجمها فتراعي التصوير الحقيقي لكل يوم يمر من آيام النكبة هذه .

لقد عاش الكاتب العربي النكبة بكاملها ولم يزل فهو اقرب الى الحقيقة من الكاتب الاوروبي الذي تسخره الصهيونية وتطمس افكاره باكاذيبها وخداعها . فالمسالة ليست فقط في قلة الانتاج ، انما هي ايضا في كيفية نقل هذا الانتاج الى لغات يفهمها الاوروبي . فالانطواء ضمن الحدود ليس بمجد . ان وجود مؤسسة ادبية تعنى بالادب الفلسطيني وما يكتب عنه فتنقله الى لغات عديدة لتفهم المستعمر الذي يتعامى عن الحقيقة ان الاستمرار في دنيا الخيال والاحلام الكاذبة ستكون نهايته مفجعة .

★★★

● والقصة الثانية هي « خبز الفداء » نشرتها مجلة « فلسطين » في عددها الثاني للسيدة سميرة عزام . ان هذه القصة ايضا لا تقل روعة في تصوير المأساة عن قصة بيان نويهض .. لكنها تختلف عنها من حيث الاختلاف في الموضوع : موضوع الحب وقد اقترن بالجوع الكافر . كما ان قصة « خبز الفداء » تصور الكثير من حالة المتشرد وآلامه : « ولفظتهم السفن على ساحل عكا .. كتلا بشرية .. يئن بعضها من الجوع وبعضها من الجراح ، وبعضها من الفزع .. »

ويتلوى الفدائيون جوعا :

ــ أما من شيء ناكله ؟ .. أجل « هناك جوعنا » ..

وعندما تلفظ سعاد انفاسها من نزف الجراح تكون قد وفرت خبزا للجنود البواسل ، مغمسا بالدم ، فالحياة الفردية تهون في سبيل احياء آشخاص ولكن كيف ذلك والحال هي آحياء وطن ؟ ..

يتبين لنا من هاتين القصتين مدى عمق الشعور الذي يحسه الاديب الفلسطيني . كما يتراءى لنا صدقه في التعبير وقوة تصويره للمواقف الحرجة التي يتعرض لها .

ابراهيم جزيني

شعراء عرب في الارض المحتلة

ادب فلسطين في نصف شهر

- كانوا اربعة ـ بيان نويهض
- خبز الفداء ـ سميرة عزام

قليل ما يكتب عن النكبة من ادب ، وقليلة هي الاعمال التي تصور معنى هذه الكارثة ، العالمية التي تعد اكبر وصمة عار في الضمير العالمي الانساني .

ان توالي تطورات هذه القضية وانتقالها وبحثها من جميع النواحي يجعل من الادب الذي يسطر عنها قليلا جدا .

فكما للسياسة دورها القوي في التحريك كذلك الادب . فهو لا يقل عن السياسة فعلا في الاثارة . فلو اردنا ان نقرأ ما يكتب عن المشكلة الفلسطينية في دراسات وتحاليل لما وجدنا الوقت الكافي لقراءة اليسير من هذه الابحاث . ولكن لو عدنا الى المجال الادبي لوجدنا انفسنا امام تساؤل مخيف : اين دور الادب في الدفاع عن الحق السليب ؟ لقد مر ما يقارب ٢٥ عاما على اندلاع الحرب العالمية الثانية ولم يزل كبار الادباء العالميين يتخذون منها مسرحا لاهم اعمالهم الابية الخالدة . اما نحن ، العرب ، فلم نكتب عن مشكلتنا الاولى سوى القليل .

★★★

● اخر ما قرأته في هذا الصدد كانت قصة جيدة ، كتبتها بيان نويهض وعبرت فيها تعبيرا قويا عن الخلجات الانسانية التي تدور في صدور المعذبين المشردين من ديارهم .

وتتحدث الكاتبة في قصتها عن الاعمال الوحشية التي كان يقوم بها العدو فتقول : « لماذا شطرتم البيت الى قسمين ؟ هل تريد يا حضرة المندوب ان يرى الغرباء زوجتك وهي تطبخ ، وهي تغسل ، وهي تمشي في بيتها ؟ » وتستطرد في موقف اكثر تعبيرا :

« اتركها .. اتركها يا رئيسي .. اقبل يديك .. اريد ان ادفنها تحت التراب .. اي تراب » ..

هكذا تتكرر هذه المواقف المؤلمة كل يوم .. وهكذا « يتكوع اللاجئون فوق بعضهم البعض كالجراء قرب النار » .

هل هناك افظع من اجرام كهذا ؟ فعلا اين ما يسمونه بحرية الضمير ؟ هذا الضمير المتحجر الذي أعمته الصهيونية وضللته .. ولكن متى تنقشع عنه هذه الغيوم الكاذبة ؟ ..

« كانوا اربعة » قصة تصور حياة كل عائلة فلسطينية مشردة تكافح لتعود اليها كرامتها السليبة .. تحس وانت تقرأ « كانوا اربعة » انك تمر امام لوحات فنية معبرة لما يدور في نفس الكاتبة من اشواق العودة والحنين اليها .

قصة بيان نويهض هذه تصلح لان تكون رواية كبيرة نترجمها فراعي التصوير الحقيقي لكل يوم يمر من ايام النكبة هذه .

لقد عاش الكاتب العربي النكبة بكاملها ولم يزل فهو اقرب الى الحقيقة من الكاتب الاوروبي الذي تسخره الصهيونية وتطمس افكاره باكاذيبها وخداعها . فالمسألة ليست فقط في قلة الانتاج ، انما هي ايضا في كيفية نقل هذا الانتاج الى لغات يفهمها الاوروبي . فالانطواء ضمن الحدود ليس بمجد . ان وجود مؤسسة ادبية تعنى بالادب الفلسطيني وما يكتب عنه فتنقله الى لغات عديدة لتفهم المستعمر الذي يتعامى عن الحقيقة ان الاستمرار في دنيا الخيال والاحلام الكاذبة ستكون نهايته مفجعة .

★★★

● والقصة الثانية هي « خبز الفداء » نشرتها مجلة « فلسطين » في عددها الثاني للسيدة سميرة عزام . ان هذه القصة ايضا لا تقل روعة في تصوير المأساة عن قصة بيان نويهض .. لكنها تختلف عنها من حيث الاختلاف في الموضوع : موضوع الحب وقد اقترن بالجوع الكافر . كما ان قصة « خبز الفداء » تصور الكثير من حالة المتشرد وآلامه : « ولفظتهم السفن على ساحل عكا .. كتلا بشرية .. يئن بعضها من الجوع وبعضها من الجراح ، وبعضها من الفزع .. »

ويتلوى الفدائيون جوعا :

ـ اما من شيء ناكله ؟ .. اجل « هناك جوعنا » ..

وعندما تلفظ سعاد انفاسها من نزف الجراح تكون قد وفرت خبزا للجنود البواسل ، مغمسا بالدم ، فالحياة الفردية تهون في سبيل احياء اشخاص ولكن كيف ذلك والحال هي احياء وطن ؟ ..

يتبين لنا من هاتين القصتين مدى عمق الشعور الذي يحسه الاديب الفلسطيني . كما يتراءى لنا صدقه في التعبير وقوة تصويره للمواقف الحرجة التي يتعرض لها .

ابراهيم جزيني

لا بد للحياة من ان تستمر بكل ابعادها في صفوف عرب الارض المحتلة رغم كل محاولات اليهود لسحق شخصيتهم وتفتيتها . ونستطيع ان نتصور من هنا كيف ان كثيرا من ابعادهم الحياتية مجهولة لدينا اما بسبب امكانيات الاتصال المستحيلة معهم ، واما بسبب اضطرارهم لابقاء الكثير من تلك الابعاد مخفية في نفوسهم ، ومحرومة من امكانية الاعلان الحر عنها .

وفي هذا المجال لا بد ان تاخذ الثقافة حيز المقاومة الاقوى من قبل السلطة الحاكمة هناك ، حتى تنقطع كل صلة للتخاطب والحوار فيما بينهم ، وحتى لا ينمو جنين الثقافة هذا فتصعب السيطرة عليه . وتنفيذا لذلك لا بد من تقليص التعليم والغائه احيانا ، ولا بد من ان يقتصر هذا التعليم على المراحل الاولية فقط ، وتنفيذا لذلك ايضا لا بد من حجب اي نتاج عربي جيد من الوصول اليهم ، ولا بد من منع اي نتاج جيد يصدر عنهم من الظهور . هذا ان لم يؤد نتاج جيد يصدر عنهم ويعبر عن حقيقة مشاعرهم ومطامحهم الى سوق صاحبه للسجن وتقديمه للمحاكمة .

وفي هذا العرض الموجز سنقدم مجموعة من القصائد نشرت عام ١٩٥٣ لعدد من الشعراء الناشئين . ومن البديهي ان تكون هذه القصائد بعد ان حازت على رضى المراقب اليهودي ، مقتصرة على محاولات بدائية في كتابة الشعر ، لا تتعرض لاكثر من المواضيع الغزلية والوصفية بحيث لا تثير غضب اي مسؤول حين يطلع عليها . وسنلاحظ في هذه المجموعة ايضا ان اغلب هؤلاء الشعراء ـ باستثناء اليهود منهم ـ لم يكن عمر احدهم ليتجاوز العشرين يوم نشر الديوان . ومن شأن هذا النشر المبكر ضمن بيئة ثقافية عقيمة ان يظهر المثقفين العرب الذين تتبرع اسرائيل بنشر نتاجهم ، بصورة بدائية لا تدعو للتفاؤل او التشجيع .

الا اننا سنلاحظ رغم ان هذه المجموعة نشرت برضى السلطات اليهودية ، ورغم ان كتابها لم يكونوا آنذاك الا شبابا في بداية وعيهم وتفتحهم . كيف ان بذور التمرد مغروسة حتى في نتاجهم الاولي الذي سمح لهم باصداره .

جمال قعوار

ونبدأ استعراضنا السريع هذا بحديث عن الشاعر جمال قعوار .

ولد جمال في الناصرة عام ١٩٣٠ وتلقى دراسته في مدرستها الحكومية زمن الانتداب . يعمل حاليا معلما في دائرة المعارف ، وهو آحد محرري مجلة المجتمع ، وسبق له ونشر بالاشتراك مع صاحب المجلة مسرحية للاحداث اسمياها « ظلام ونور » .

يقول الشاعر في قصيدة « سر الى جانبي » :

سر الى جانبي فلست وحيدا
نحن حران لا نطيق القيودا
سوف نلقى هناك قيدا جديدا
ونلاقي زجرا هنا ووعيدا
وجيوش الظلام تنشىء سدا
ليس سد يثني العباب شديدا
وضروب الارهاب تنفث نارا
ان نور الايمان اقوى جنودا
وغرام التحرير احكم رأيا
وحديد الصدور اصلب عودا

سر الى جانبي الى النور انا
سنحيل الظلام فجرا سعيدا
انا اما مشيت دربا بعيدا
ليس دربي وانت قربي بعيدا
انا اما قصدت يوما نجاحا
تعطني قوة ورأيا سديدا .

ونستطيع ان نلاحظ في هذا المقطع بوضوح روح التمرد ، والدعوة للتعاون والعمل ، ولكن ما ان نمضي مع القصيدة خطوة صغيرة اخرى حتى نرى كيف ان الشاعر قد حول بشكل مفتعل الموضوع الذي تدور عليه قصيدته الى مجرد موضوع عادي بعيد كل البعد عن الموضوع الذي بدا به قصيدته .

يضيف الشاعر :

سر الى جانبي فاما راينا
عاجزا ناقلا خطاه وئيدا
ليس يرجو الوصول دون دليل
نحن كنا له الدليل الرشيدا

ولا شك بان وراء هذا التحول رغبة في اخفاء المعنى الحقيقي للقصيدة حتى تمر على المراقب بهدوء ، املا في امكان نشرها .

ومرة اخرى نستطيع ان نكتشف مثل هذا التغليف للمعنى الحقيقي الذي يريده الشاعر في قصيدة « ابي » التي يبدأها قائلا :

جثم الليل فوق صدري الضعيف
يرقب الصمت في الظلام المخيف
انا يا ليل في ربيع شبابي
وكاني من قفره في الخريف
ايها الليل لم تطيل عذابي ؟
يتمادى الظلام طولا وعرضا
يفرض الخوف في فؤادي فرضا
وانا ارهب النهار عديدا
وضجيج الانام يملأ الارضا
كيف اقوى على الظلام وحيدا
غير اني وقد لمحت خيالا
لابي يملأ الظلام جلالا
وانا والمنى لعل وليتا
واقاسي ولا اطيق احتمالا
يا ابي لم تركتني ومضيتا ؟

من هو الاب والى اين مضى ؟ قد يكون رمزا للقوة التي تخلت عن الشاعر وتركته وحيدا في مواجهة الاحتلال . وقد يكون رمزا للجيل الذي ناضل وسقط فوق الارض التي قاتل من اجلها . وقد يكون في اسوأ الاستنتاجات مجرد شكل ذاتي لمضمون التعب والارهاب الذي يعبر عنه حديث الظلام والخوف في القصيدة .

ماذا تجد في ديوان شعر به السلطات الاسرائيلية

لا يوجد فن ديوان شعر

ولكن يوجد ما هو اكثر عمقا

حبيب توفيق الشويري

ولد في قرية كفر ياسيف قرب عكا عام ١٩٣٦ ، وبدأ نظم الشعر في سن الرابعة عشرة ، ويوم نشرت قصائده ، التي سنقتطف جزءا منها ، لم يكن عمره انذاك يتعدى السابعة عشرة . ويوم بدأ الكتابة تنبأ له كل من حوله بمستقبل زاهر . وتفيد نتف من الاخبار القليلة القادمة من الارض المحتلة ، ان اسمه بدأ فعلا بالبروز كشاعر قوي ، رغم انعدام اي فرصة امامه لنشر انتاجه الذي يرضى هو عنه . يقول الشاعر في قصيدته « العامل يتحدث » :

من عروش الظلم والطغيان كم عرش ثللت
مع اخواني في المعمل والحقل انتفضت
فمحونا كل شر وبلغنا ما املت
وتسلمت قياد الامر لكن ما ظلمت .

★ ★ ★

نحن لا نرضى هوانا لا ولا اي فساد
نحن في عالمنا ركن ازدهار واجتهاد
لا نبالي بخطوب الدهر او بطش الاعادي
نحن من نور ونار في تفان ورشاد .

ويقول الشاعر في قصيدة اخرى بعنوان « يا شاعري » :

قد يهمس البعض جنون
قد يهزأون ويشتمون
لكن ستمضي في الطريق
نحو الهدى نحو اليقين
يا شاعري
من يحطم القيد الشديد
من يخلق الكون السعيد
من يا ترى غير الاديب
في رأيه الحر السديد
يا شاعري
من يعلن الحرب العوانا
ضد التقاليد سوانا
من يسحق اليوم الهوانا
انا معا نمحو عدانا
يا شاعري

وتدخل كلمة « التقاليد » في هذا المقطع الاخير كنشاز واضح وسط حديث عن الحرب والهوان ، الا انها كانت كافية لتحويل المعنى وتحويل الحديث عن قصده الاساسي ، بحيث يمكن للقصيدة ان ترى النور .

وينطلق الشاعر في قصيدته « آمال واماني » ليتحدث عن المستقبل الذي يحلم فيه فيقول :

العيش في ظل السلام
بين الازاهر والورود
والكون مزدهر سعيد
لا ظلم فيه ولا خصام
بل فيه اشراق الخلود

ولكن رغم هذا الامل لا يستطيع ان ينسى انه :

في مطلع العام الجديد
ينهال سيل التهنئات
لكن نسينا كم شريد
مرآه يهمي العبرات
ويبعث الحزن الشديد
والواجب اليوم النضال
من اجل مجتمع رضي
لا فقر فيه ولا قتال

راشد حسين محمود

ولد في « مصمص » من قرى المثلث الشمالي عام ١٩٣٦ وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة ام الفحم ، ثم غادرها الى قريته عام النكبة ، ثم عاد وانهى دراسته الثانوية في مدرسة الناصرة . بدأ نظم الشعر وهو في السادسة عشرة ، ولم تنشر الصحف المحلية الا القليل من انتاجه . ويتحدث في اكثر قصائده المنشورة عن حالة البؤس التي يعيش فيها ويشاهدها حوله . يقول في قصيدته « خواطر واصداء » :

وبكت تعزيه السماء فزادت المنهوك وجدا
هل غارق في اليم يطلب من سماء الكون مدا
ويريد امطارا تجمد جسمه فيزيد جهدا
لا يا سماء ترفقي فالبائس المحزون هدا

★ ★ ★

سر يا اخي لا تاس ان الهزء بالارزاء اجدى
في صفحة التاريخ سوف نخط فوق المجد مجدا
وحواجز الاجناس سوف ندكها سدا فسدا
سر جدد الامل الوئيد ولا تكن للياس عبدا .

★ ★ ★

قد لا يكون في هذه القصائد الكثير من الفن ، الا اننا لا نستطيع ازاءها الا ان نشعر بالاكبار ، لانه رغم الارهاب الوحشي المسلط على الاقلية العربية في فلسطين ، وعلى شبابها المثقف بشكل خاص ، يستطيع عدد منهم ان ينتزع نفسه من كل ذلك ليعبر عن مشاعره ومطامحه ، ناقلا كل ذلك للاخرين من حوله ، معرضا نفسه لاضطهاد السلطة الحاكمة . فاذا كان هذا التحدي للسلطة قد تم وهم لا زالوا بعد شبابا في العشرين ، فانهم يشكلون الان ولا شك خميرة صالحة تستطيع ان تحافظ على معنويات الفلسطينيين في الارض المحتلة وتمنعها من التردي والانهيار . وهم في نفس الوقت خميرة لاستمرار الثقافة العربية هناك ، بحيث تسهم الثقافة في ربطهم بالبيئة العربية ، وفي القضاء على محاولات التذويب التي يتعرضون لها كل يوم .

... الادب الشعبي

هو ادب المقاومة في فلسطين

محمد صالح يونس

اين هو ادب المقاومة في فلسطين ؟ واين هم ادباء الكفاح ؟ بعد هذه الاعوام الطويلة من سني النكبة وفي غمرة الحديث عن الادب ودوره في الثورات واجهني الكثيرون بهذا السؤال بعد ان فاتتهم الحقيقة المرة ان الادب ، ولا سيما ادب المقاومة ، حديث العهد في فلسطين وذلك لاسباب عديدة منها : الجهل ، اذ لم يتح لابناء الطبقة الشعبية ، التي كانت دائما هي وقود الثورات ، الانفتاح على العلم والمعرفة والثقافة ، وعدم وجود الوعي الشعبي الكافي لبلورة احاسيس الشعب ...

ولكن هذا لا يعني انعدام ادب المقاومة ، وانما الذي اقصده هو ان المقاومة العربية في فلسطين لم تجد من يعبر عنها التعبير الصحيح ، الا اذا استثنينا بضعة شعراء بينهم الشاعر معين بسيسو الذي جسد المفهوم الحقيقي للنضال الشعبي في قصيدته :

أنا ان سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
وأحمل سلاحي لايخفك دمي يسيل على السلاح
وانظر الى شفتاي قد نادت الى هوج الرياح
أنا لم أمت أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح
أنا ان سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

ولكن .. اذا كان ابناء الطبقة الارستقراطية ، قد فشلوا في تجسيد ادب المقاومة فان شعراء « الزجل والعتابا » لم تفتهم هذه الفرصة للتعبير عن المقاومة العربية في فلسطين ..

ولست هنا في معرض للتقييم بالتاريخ والزمن والارقام ، ولكن الذي يتضح لي ان الادب الشعبي هو النموذج الحي لادب المقاومة .. بين يدي الان قصيدة شعبية عنوانها « في ليلة الاعدام » ..

وقصتها ان

شابا عربيا اسمه « عوض » قبض عليه الانجليز لاشتراكه في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين وحكموا عليه بالاعدام شنقا ، وفي ليلة تنفيذ الاعدام كتب هذا الشاب القصيدة الشعبية بالفحم الاسود على جدار السجن وقد قرأها سجانه ونقلها الى الناس ليروا فيها قوة المقاومة والتضحية في الانسان العربي الفلسطيني :

في ليلة الاعدام

يا ليل خلي الاسير تا يكمل نواحو
راح يفيق الفجر ويرفرف جناحو
تايتمرجح المشنوق في هبة رياحو
شمل الحبايب ضاع وتكسرو قداحو

يا ليل وقف تا قضي كل حسراتي
يمكن نسيت مين أنا ؟
ونسيت آهـاتي
يا حيف كيف انقضت بيديك ساعاتي ؟

لا تظن دمعي خوف ، دمعي على وطاني
وعا كمشة زغاليل بالبيت جوعاني !
مين راح يطعمها بعدي ؟ واخواني
تنين قبلي شباب عالمشنقة راحوا ؟

وبكرة مرتي كيف راح تقضي نهارها ؟
ويلها علي أو ويلها على صغارها !
يا ريتني خليت في ايدها سوارها
يوم الدعتنى الحرب تا اشتري سلاحها !

لماذا نحن في المنفى ؟

عبد الوهاب البياتي

« اللاجئون يسألون »

لماذا نحن في صمت
نموت
وكان لي بيتي
وكانت لي ...
وها أنت
بلا قلب ، بلا صوت
تنوحين ، وها أنت
لماذا نحن في المنفى ؟
نموت
نموت في صمت

لماذا نحن لا نبكي ؟
على النار ،
على الشوك
مشينا
ومشى شعبي

لماذا نحن يا ربي
بلا وطن ، بلا حب
نموت
نموت في رعب
لماذا نحن في المنفى
لماذا نحن يا ربي ؟

في كهوف بيزنطية عمرها مئات من السنين تعيش العائلات التي ، من أكفها الخشنة ، تحولت الارض الفلسطينية الى زيتون وبرتقال . انهن بائسات ، فقدن كل شيء في عالمهن الظالم ، ولكنهن احتفظن بشيء واحد على الاقل ، لصق لحمهن : الاثواب المزركشة التي شهدت عزهن ، رمزا لما ليس بالمقدور تحطيمه ، يقول : اننا سنعود !

كلمة اخرى

● بوسع وكالات الانباء ، والصحف ، ان تورد الخبر بايجاز كما يلي : « قتل اليوم عدد جديد من « المتسللين » العرب في اسرائيل حين اشتبكت ثلاث وحدات منهم في اماكن وازمنة متفرقة مع الجنود الاسرائيليين » .

بوسع الوكالات ، وبعض الصحف ، ان تقول ذلك ، ولكن كيف لا تلتهب عروقنا حين تزغرد ، ولو على سطح الحروف ، اناشيد البطولة من جديد ؟

هؤلاء « المتسللون » هم اصحاب الارض وانبيائها ، فدائيوها ورجالها الذين ينبعون من بين دقائق الزمن ، مغروسين بجذور دموية في لحم الارض .

رجال مجهولون ، في عيونهم تلتهب الكارثة بغير دموع ، رفضوا ان يكون الموت حقيقة مقبولة الا اذا كان الدم هو الكفن والوطن هو الضريح .

انا لا اعرفهم ، ولكنهم يعيشون في : نبضا ودموعا وطموحا ، اساتذة : زنودهم اشرف من الف كتاب ، عيونهم عارنا ، دماؤهم تلك التي يخرج منها طائر يظل يصيح : خذوا بثأري ! دماؤهم تلك !

ابكهم ، فليس هناك على وجه هذه الارض من يستحق دمعك غيرهم ، منهم طليعتك وهم الذين ، بدمائهم السيالة على ارض تركتها للعدو وبلحمهم الممزع برصاص هربت منه ، وبأسنانهم التي تعلك الثأر ، يضعون في عينيك ذلك الالتماع الذي يقول : هذا شعب لم يمت ! . .

وهذا ليس حماسا وليس خطابا : دماؤهم لم تجف بعد عن الصخور التي شهدت صمودهم ، مطر تشرين لم يستطع غسلها . بينك وبينهم لحظة شجاعة واحدة ، ولقد ماتوا كي لا يقال انك نسيت بلادك !

★ ★ ★

● المذكرات القليلة التي كتبت عن حرب ١٩٤٨ يجب آن تجد طريقها الى القارىء الفلسطيني ، مذكرات القاوقجي مذكرات البصبوص ، مذكرات وصفي التل ، كتاب « الكارثة » لعارف العارف .. كل هذه الوثائق التاريخية يجب ان تجد طريقها الى القارىء الفلسطيني كي يتعرف الى الكارثة ، ليس بالنواح والتفجع والشعر ، ولكن بالحقائق التي تتراوح بين العار وبين الظلم ، ولكنها تبقى دائما فاجعة .

كلما استعدت مقطعا او مقطعين شعرت بالمعنى الحقيقي للكارثة ، ولكنني ابدا لم اعتقد ، بعد القراءة ، ان الرد هو اليأس ، بل ان الكارثة نفسها تعطي اطراف الخطوط : لم يكن ما حدث « حظا سيئا » ، وليس « مصادفة » ، كما انه ليس شيئا « ميتافيزيكيا » : لم تحارب في صفوف العدو قوة مجهولة ، ولا طيور ابابيل ، ولكن الجهل هو الذي حاربنا ، داخل صفوفنا .

مستر اندرستاند

"عثر في روما على صندوق فيه جاسوس
مستر اندرستاند : انا كمان !

الى « فلسطين » .

الاسم :

العنوان :

لما كان من المهم ، باعتقادي ، ان ينجح مشروع مجلتكم ويستمر في التعبير عن مطامحنا ومشاكلنا وفي تعقب تطورات القضية المقدسة داخل الارض المحتلة وخارجها فاني أرجو اعتباري مشتركا في « فلسطين » لمدة عام .

تجدون مع هذا حوالة بقيمة الاشتراك الرمزية

فقط

المخلص